

مفهوم الإنسان من منظور النص القرآني، قراءة في الدلالات والمعاني وفق مبادئ نظرية الحقول الدلالية

حورية شاري

جامعة الجزائر 2 – أبو القاسم سعد الله - الجزائر

houria.chari@univ-alger2.dz

استلم: 2026-07-15، مقبول: 2026-07-22، نشر: 2026-07-29

the concept of man from the perspective of the Qur'anic Text: A Reading of connotations and meanings according to the principles of semantic Fields Theory

ABSTRACT: *This study aims to examine the concept of the human being as presented in numerous verses of the Quran. It explores the connotations and meanings associated with this concept, viewing the Quranic text as an open text—one that allows for the interpretation of its concepts and themes across different eras rather than being confined to a specific historical period. The study demonstrates that the concept of the human being lies at the heart of the Quranic discourse, as the message is addressed to the human—a creature with a specific function to fulfill during its existence on Earth—thereby providing a comprehensive picture of the human being's status.*

In this study, the theory of semantic fields provided a methodological approach that helped deconstruct the Quranic text's vision of the human being. By examining a network of keywords and their interactions within the context of Quranic verses—and employing a descriptive-analytical method regarding the verses where this concept appears—these semantic fields offered a comprehensive perspective. This perspective delineated the existential dimensions of the human being as a created entity, encompassing the stages of human formation, inherent characteristics, and the role of vicegerency on Earth, along with the associated responsibilities.

KEYWORDS: *Man, the Qur'anic Text, semantic fields, the meaning, Connotation.*

الملخص: تهدف هذه الدراسة البحث في مفهوم الإنسان الذي ذكر في كثير من المواضع من آيات النص القرآني، وذلك من خلال البحث في الدلالات والمعاني التي يحملها هذا المفهوم على اعتبار النص القرآني، هو نص مفتوح في قراءة المفاهيم والموضوعات، التي ضمنتها ألفاظه وآياته في كل مرحلة زمنية، وليس محصورا في مرحلة معينة، وقد بينت الدراسة أن مفهوم الإنسان شكلت مركزية الخطاب القرآني كونه موجه إليه كمخلوق له وظيفة مطالب بأدائها في تواجده على كوكب الأرض ليعطينا صورة عامة حول مكانته.

وقد شكلت نظرية الحقول الدلالية في هذه الدراسة مقاربة منهجية ساعدت في تفكيك رؤية النص القرآني لمفهوم الإنسان، وذلك من خلال شبكة الألفاظ المفتاحية، وتفاعلها داخل سياق الآيات القرآنية، فمنحت لنا هذه الحقول

الدلالية نظرة متكاملة رسمت الأبعاد الوجودية للإنسان كمخلوق سواء في أطوار تكوينه أو خصائصه، أو استخلافه في الأرض ومسؤوليته فيها بانتهاج مبدأ الوصف والتحليل لتلك الآيات التي ذكر فيها هذا المفهوم.

الكلمات المفتاحية: الإنسان، النص القرآني، الحقول الدلالية، المعنى، الدلالة.

*المؤلف المراسل : حورية شاري

مقدمة:

إن دراسة الدلالات والمعاني التي تحملها ألفاظ النص القرآني ومفاهيمه الأساسية تشكل في حقيقة الأمر موضوعات مركزية يدور حولها الخطاب الإلهي ولفهمها فهما منطقيا عقليا لا بد من الاعتماد على نظريات تعتمد مبدأ العلمية في تناول الظواهر والقضايا واستقراءها من أجل الوصول إلى حقائق تتوافق والعقل السليم السوي الذي يمحس الأشياء ويدقق فيها، ومن بين هذه النظريات، نظرية الحقول الدلالية إذ تعتبر مقاربة منهجية علمية تساعد على فهم تلك المفاهيم والموضوعات القرآنية التي منها "الإنسان" كوجود حقيقي على كوكب الأرض ودوره فيها والمهمات الموكلة له لأدائها، وذلك بتفكيك هذا المفهوم عبر آليات هذه النظرية من أجل إدراك نظرة القرآن لهذا المخلوق، على اعتبار أن النص القرآني هو نص مفتوح في قراءة المفاهيم والموضوعات التي تتضمنها ألفاظه في كل مرحلة زمنية وليس محصورا في مرحلة معينة، وكون نظرية الحقول الدلالية في معالجة الظواهر والقضايا اللغوية مبنية على تفكيك المفاهيم المتعلقة بها كألفاظ تحمل معاني ودلالات ترشد العقل لاستيعابها وفهمها، وبهذا فهي بمثابة مفاتيح تساعدنا للتعمق فيه.

انطلاقا مما سبق ذكره نعمل في هذه الدراسة من أجل الإجابة عن إشكالية التالية: كيف ينظر النص القرآني كخطاب إلهي إلى مفهوم الإنسان؟ وما موقعه فيه؟

1- علم الدلالة ونظرية الحقول الدلالية – دراسة في أسسها المنهجية-

يعتبر موضوع الدلالة والمعنى من أهم المواضيع التي شغلت الباحثين في اللغة والفاظها، بل والدّرس اللّغوي ككل كون اللغة ظاهرة إنسانية اجتماعية أساسها التواصل فتخضع دلالات

ألفاظها والمعنى الذي تحمله للاستعمال في حياة الناس، فهو الذي يوجهه، وإن كانت دراسة اللغة في جانبها الدلالي تختلف بحسب طبيعة الدرس اللغوي عبر المراحل الزمنية وتطور الحضارات التي يبنمها البشر والطبيعية التفكيرية التي بنيت عليها هذه الحضارات في شتى جوانبها العلمية الدينية والثقافية، وما يلاحظ أن البحث في الدلالة المعنى قديما كان مبنوًا كشيء ثانوي في هوامش بقية ظواهر اللغة ومستويات نظامها وقضاياها ولم يكن الهدف الأسمى حيث يظهر أحيانا ويغيب في أحيان أخرى على، وهذه الحالة التي عرفها الدرس الدلالي بقي لعدة عصور إلى غاية العصر الحديث أين أصبح للدلالة علم قائم بذاته مبني على أسس ونظريات لها آليات تقوم عليها للبحث في خباياها وفهم مغزاها ومقاصدها، منها نظرية الحقول الدلالية.

فالبحت في دلالة والمعنى وإن كان بحث قديم في الدرس اللغوي، لكن مصطلح علم الدلالة (semantics)، وبالصورة التي عليها البحث في الدلالة والمعنى اليوم فهو جديد، حيث ظهر المصطلح بالشكل الذي نستعمله في هذا الفرع من البحث اللساني مع الغربيين الذين يستعملون اللسان الإنجليزي لأول مرة عام 1948م، أما ككلمة، فهي قديمة الاستعمال، إذ تعود إلى القرن السابع عشر ميلادي (ق17م) أين استعملت بمعنى (الكهانة) في تركيب (semantick philosophy)، وقد بدأت تتداول بمعنى الدلالة (semantics) في استعمالات الباحثين خلال القرن التاسع عشر ميلاد، عام 1894م مع علماء فقه اللغة، وقابلها في اللغة الفرنسية كلمة (sémantique) (ينظر: بالمر، 1995، ص10)، أين استعملها اللغوي الفرنسي ميشال بريل (Michel Bréal) من خلال مقال نشره عام 1897م بعنوان محاولة في الدلالة (Essai de sémantique)، (ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص22)، وهي عندهم مشتقة من الأصل اللاتيني (sēmaino)، وقد استعملها للدلالة على تطور المعنى وليس على المعنى في حد ذاته، وبالتالي فهو يقابل عنده علم الدلالة التاريخي (Historical Semantics) (ينظر: بالمر، 1995، ص10)، وفي هذا الصدد يقول بيير جيرو (Pierre Guiraud) "إن كلمة دلالة (semantic) قد اشتقت من الكلمة اليونانية (sēmaino) دل-عنى. وهي نفسها مشتقة من (sema) دال. وقد كانت في الأصل صفة تدل على كلمة معنى: إن أي

تغير دلالي هو تغير معنوي، وإن القيمة الدلالية للكلمة تكمن في معناها (بيير جيرو، 1988، ص16).

1.1- مفهوم نظرية الحقول الدلالية وأسسها المنهجية

نظرية الحقول الدلالية والذي يقابلها في اللغة الإنجليزية مصطلح (Semantic Field Theory)، أو المصطلح (Lexical Field Theory)، هي أحد النظريات التي تنتمي لحقل علم الدلالة، وتقوم على هذه النظرية على فكرة مفردات اللغة التي نستعملها لتحقيق هدف من الأهداف التواصل مثلا ليست كلمات أو عبارات متناثرة تتباعد فيما بينها، بل أن كل مجموعة من اللغات التي تستعمل في خطاب معين أو في موقف تخاطبي ما ترتبط دلالاتها فتوحدها تحت لفظ عام يجمعها في حقلٍ دلالي (Semantic Field) أو معجمي (Lexical Field) ليكون بمثابة عنوانا رئيسيا يعبر عنها (ينظر: مختار عمر أحمد، 1998، ص22)، فالشيء الذي يجمعها يتمثل في تلك الفكرة الشاملة التي تتعلق بقضية ما أو موضوع من المواضيع.

إذا كان علم الدلالة هو العلم الذي يدرس المعنى فإن نظرية الحقول الدلالية هي ركيزته الأساسية في هذه الدراسة إذ تلعب دورا مهما في قضايا المعنى ومسائله وتفرعات، كونها تُعنى بدراسة الكلمات من خلال تجميعها في حقول دلالية، وهو ما يسهل فهم معانيها، لأننا إذا أردنا أن نفهم معنى أي كلمة ينبغي أن نفهم المحيط الذي تتواجد فيه وهو مجموعة الكلمات المتصلة بها دلاليا والتي تنتمي إلى محيطها كونها تتواجد معها، إضافة إلى مراعاة السياق الذي ترد فيه تلك الكلمة، ومن هنا تكمن أهمية هذه النظرية إذ تصب كل تركيزها على دراسة الكلمة وإعادة الاعتبار لها من خلال ربطها بعالمها الداخلي والخارجي بعد ما كان الاهتمام بها من خلال عزلها عن باقي المفردات التي تكون معها في سياق تركيبى وموقفى محدد واعتبارها بنية مغلقة أثناء الدراسة على صعيد الدراسات اللغوية، وكذا اعتبار معناها خارج البحث العلمي كونه لا يوافق مبدأ التجريب ولا يخضع لأدوات العلوم التجريبية (Experimental science Tools)، والمعنى في حقيقة الأمر يمثل حياة الكلمات وقلبيها النابض، فهو الذي يُضفي عليها ذلك الجمال السحري ويكسيها قوة التأثير.

من أهم الأسس التي تقوم عليها نظرية الحقول الدلالية مبدأ التصنيف وذلك بتصنيف الكلمات تحت عنوان يجمعها، ثم البحث عن الخلفيات والدافع الدلالية التي تقف وراء استعمال لتلك المجموعات دون غيرها في خطاب ما مهما كان نوعه فتصبح هذه الكلمات مجموعة بمثابة المفتاح الذي يجعلنا نقف على دلالاتها والهدف من استعمالها هي دون سواها.

2.1- الدلالة والمعنى:

فالدلالة من الناحية اللغوية كبناء شكلي للكلمة كما هو موجود في المعاجم لها صورتين، (الدلالة) بفتح حرف الدال، و(الدلالة) بكسره، وهي مصدر للفظـة "الدليل" كما يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ/175هـ): "والدلالة: مصدر الدليل، بالفتح والكسر (الفراهيدي الخليل بن أحمد، 2002/1442، 43)"، وقد جاءت لفظـة (الدليل) في القرآن الكريم في أكثر من موضع (بمعنى الإرشاد والتوجيه)، ومن هذه الواضع قوله تعالى: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ سَوْنًا هُمَا رُثِيمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ (الأعراف، 22)﴾. كما ذكر في قوله تعالى أيضا: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (الفرقان، الآية: 44)﴾، وغيرها من الآيات.

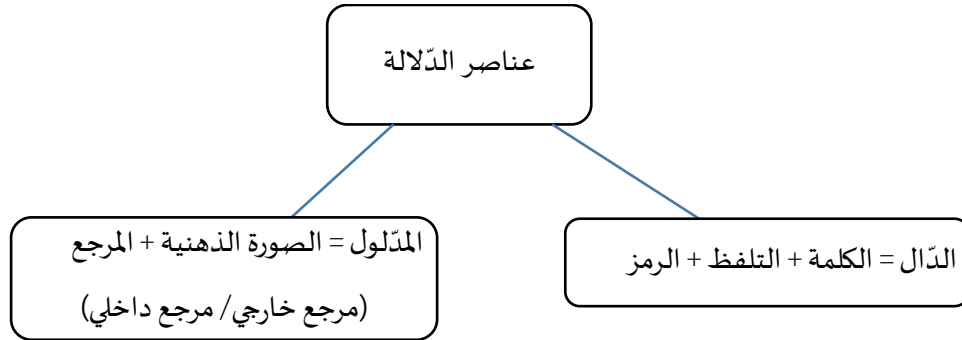
وأما أحمد بن فارس (ت 395هـ) فحصر معناها بين "الأمرة والاضطراب"، حيث يقول: "دل، الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بإمرة تتعلمها، والآخر اضطراب في الشيء. فالأول قولهم: دللت فلاناً على الطريق. والدليل: الأمرة في الشيء. وهو بين الدلالة والدلالة. (ابن فارس أحمد، 1989/1399، 259)"، ولما نطلع على معجم التعريفات للشيخ الجرجاني (ت 740هـ-816هـ) نجده يُعرفها تعريفاً منطقياً بأنها عبارة عن تعلق شيء بشيء آخر كملزمة له؛ أي حينما نقول مثلاً: (شجر، جبل، غيوم، صلاة) فكل كلمة تدلنا على شيء يكون متصوراً أو تذكرنا به فكلمة (غيوم) تجعل السامع يربطها بالأمطار، و(الصلاة) عند المسلم تجعله يربطها بالصلوات الخمس وما يقوم به من حركات أثناء أدائها حيث يقول: "الدلالة: هي كون الشيء بحاله يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول (الشيخ

الجرجاني، معجم التعريفات، ص 91). أما (المعنى) فعرفه بأنه ما نعني به شيء بعينه دون غيره موظفا مصطلح (القصد) فيقوله: "المعنى: ما يُقصد بشيء (الجرجاني الشريف، 2004، ص 185)".

ولكي نميز بين الدلالة، كإحالة (denotation)، وإيحاء (connotation)، وبين المعنى (meaning)، علينا أن نسعى إلى حصر العناصر التي تتركب منها كل نوع، والبحث في مكانه، وإن كنا يبدو أنهما لا يختلفان، كون الدلالة والمعنى متصلان ولا يمكن الفصل بينهما من الوهلة الأولى دون التعمق في كل مفهوم خاصة حينما يتعلق الأمر بالكلمة، لأنه يجتمع فيها الدلالة والمعنى في الآن نفسه، فالمستعمل للغة لديه (الكلمة) كصورة شكلية، والتي لها بنائها الهيكلي اسما كانت أو فعلا، وكل كلمة لها صورتين كتجسيد، صورة صوتية تسمع، وصورة ثانية كرموز ترسم فتُرى، وهنا نسمي الصورة الصوتية (تلفظ)؛ أي النطق بها أثناء استعمالها في تركيب ما، وهي تحمل مقاصد، وهي حينما يتلفظ بها المتكلم رسما أو صوتا فتكون رموزا يفككها السامع أو الذي وجه له الخطاب، وهذا كله يكون الدال (Signifier) كما يسميه علماء اللغة، وهو أحد أجزاء الدلالة. أما الجزء الثاني من الكلمة، فهو المدلول (Signified)، والذي يمثل تلك الصورة الذهنية التي لا يمكن أن نقبض عليها كون لها وجود ذهني خفي لا يُرى، وبالتالي فهي تتصل بعالم الغيبيات بالنسبة للأفراد المستعملين للغة في عالم المادة أو المحسوسات، ومع هذا كل فرد فينا يحمله بداخلها كفكرة يجسدها في ذهنه عن الأشياء حينما يتلفظ بالكلمة كصورة صوتية، أو شكلية، وهذه الصورة الذهنية التي نحملها عن المدلول هي التي تجعل كل فرد متصل مع ما هو الموجود في عالمه المادي ويتفاهم معه ومع ذاته، وعليه يمكن القول للكلمة صورتان كلاهما تكمل الأخرى، صورة ظاهرة، وأخرى خفية.

وكما أن الدلالة هي عبارة عن إحالة وإيحاء في الآن نفسه كذلك نجد المدلول له هو الآخر عبارة عن مرجع خارجي (External Reference)، ويتمثل فيما هو موجود من أشياء أو أفعال نقوم بها ونطلق عليها تسميات أو مثل (حجر، شجر، بحر، شمس، إنسان، الضرب، العمل)، ومرجع داخلي (Internal Reference)، التي قد يظهر كأمانة تفهم وقد لا تظهر، مثل (السعادة، الفرح، الأمل)

كعناصر يتركب منها المدلول، ويمكن أن نلخص ما سبق ذكره حول عناصر الدلالة ومركباتها في مخطط توضيحي كما يلي:



مخطط رقم (1) يلخص عناصر الدلالة

فالكلمة هي التي تكون كصورة شكلية للدلالة، أما التلفظ فهو تلك الصورة الصوتية لها حينما ننطقها، إذ يقول الله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: 18). أما الرمز فهو عبارة عن المقاصد التي تتضمنها الكلمة حينما نرسمها كصورة شكلية فيقرأها المخاطب، أو كصورة صوتية عندما نتلفظ بها فيسمعها. وأما الصورة الذهنية فما يحمله كل فرد كفكرة في ذهنه عن الكلمة حينما يسقطها على ما يُريد أن يتفاهم معه في عالمه الخارجي أو الداخلي، والذي يشكل المرجع بالنسبة له ليمثل بذلك ما هو مجود مع الفرد أو ما يحيط به من موجودات وأشياء، التي يتصل بها ويتواصل معها عبر الكلمة، أو ما يحمله بداخله من أشياء يعيشها ويتعايش معها دون أن يراها، فتكون عبارة عن أحاسيس ومشاعر قد تظهر كأمارات يقرأها الآخر، والذي بدوره قد يصيب القراءة كما يمكن أن يكون بعيدا عن مقاصدها أثناء القراءة.

أما المعنى (meaning)، فيمكن أن نقسمه إلى قسمين، معنى وضعي أو اصطلاحي، والقسم الثاني فهو معنى اجتماعي، فالكلمة حينما يستعملها المتكلم لها معنى وضعي وهو الذي يشترك في فهمه كل أفراد الجماعة اللغوية المستعملة للغة واحدة؛ أي موجود في أذهانهم بصورة ثابتة مستقيمة، ومعنى اجتماعي صورته ليست واحدة عند المستعملين للغة، بل بشكل مختلف عن بعضهم البعض، فهي صورة متغيرة، فقد يحمله فردا واحدا في جماعة لغوية ما، أو أكثر، وقد

تحمله جماعة لغوية في مقابل جماعة أخرى، فالمعنى الاجتماعي صورته متغيرة كونها تخضع للاستعمال في واقع الجماعات اللغوية.

ويرى بالمر أن التركيب الكلامي الذي يحوي معلومات وينطبق عليه مبدأ الصدق والكذب هو وجه من وجوه المعنى وينقسم إلى: المعنى الإدراكي (cognitive)، والمعنى التصوري (ideational)، والمعنى الرمزي (denotational)، إضافة إلى المعنى الإخباري (propositional)، والذي يراه نوع من أنواع المعنى، ولكن ليس أهم أنواعه (ينظر: علم الدلالة إطار جديد، ص 58)، وأورد الشريف الجرجاني في معجمه التعريفات: أن دلالة اللفظ على المعنى عند علماء الأصول يكون إما عبارة أو إشارة أو دلالة أو اقتضاء، حيث يقول: "كيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص، وإشارة النص، ودلالة النص، واقتضاء النص، ووجه ضبطه أن الحكم المستفاد من النظم إما أن يكون ثابتا بنفس النظم أو لا، والأول إن كان النظم مَسوقا له، فهو العبارة، وإلا فالإشارة، والثاني: إن كان الحكم مفهوما من اللفظ لغة فهو الدلالة، أو شرعا فهو الاقتضاء (الرجاني الشريف، 2004، ص 91)".

2- دلالات ومعاني مفهوم الإنسان في حيز الحقل الدلالي:

إن كلمة (إنسان) كاسم من الناحية اللغوية مشتقة من الجذر (أنس)، ويرى أحمد بن فارس أنها تفيد معنى ظهور الشيء، وسواء أكانت في جذرها الثلاثي أو أضفنا لها (أل) التعريف (الأنس)، وهي عكس (الجن) حسب (ينظر: أحمد بن فارس، 154)، أما حينما نقف على الكلمة دلاليا في خطاب النص القرآني كخطاب ديني والتي تطلق على ذلك المخلوق الأدمي الذي خلقه الله تعالى، ومكنه في الأرض، نجدها تشغل حيزا يجعلها توصف بالمفهوم المركزي فيه إذ بُني عليه هذا الخطاب الديني ليحقق قصيدة التأثير في هذا المخلوق كوجود مادي ويذكره دوره ليلعبه بشكل الإيجابي، والقيام بوظائفه الموكلة له كونه مكلف في التشريع الديني وهو الذي قبل بهذا التكليف، انطلاقا من تلك المكانة الدنيوية، والتي حددت بوضوح في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30) البقرة﴾، فالمقصود بالخليفة هو (المخلوق) كوجود مادي على كوكب الأرض لنعبر عنه بكلمة (إنسان) كما ذكرنا، حيث حملت

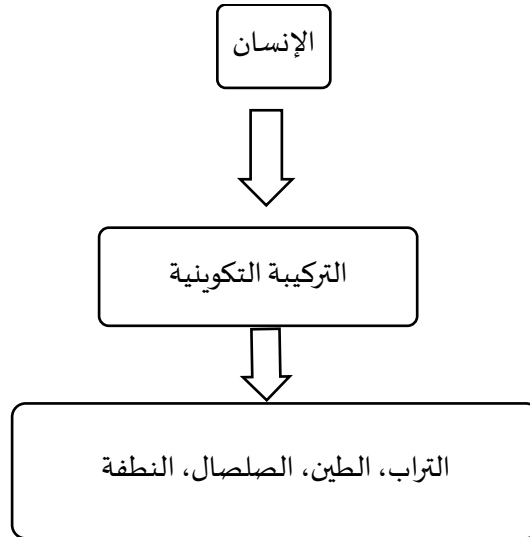
هذه الكلمة في النص القرآني عدة دلالات ومعاني تعطي لنا صورة دقيقة عنه بحسب طبيعته التكوينية المادية أو تركيبته النفسية وما يتميز به وفق السياقات الداخلية للنص القرآني، والتي وظفت فيها الكلمة، فكونت بذلك حقولا دلالية متكاملة في السور والآيات وما جاء معها من كلمات ساعدت في بناء الأبعاد الوجودية الخاصة بالإنسان ودوره ومصيره، والتي تبدأ من أطوار خلقه وتقلباته النفسية وما يتميز به من خصائص ومميزات إيجابية وسلبية وإن غلب في مرافقة هذا المفهوم مميزات السلبية، وصولا إلى مسؤوليته التي قبل أن يتحملها حينما استخلف في الأرض، ثم الجزء الذي سيترب على تلك المسؤولية، وعليه فالكلمات النص القرآني تستوعب حقلا دلاليا متنوعا لمفهوم الإنسان، والتي يمكن أن نذكرها كالاتي:

2.1- حقل التركيبة التكوينية

يعكس مفهوم (الإنسان) في هذا الحقل الدلالي الذي يعرضه لنا النص القرآني، مسيرة هذا المخلوق فيحدد نقطة بداية وجوده بعد عدم الوجود، إذ يقول الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ (الإنسان: 1)، ثم تصور لنا آيات أخرى بعد الانتقال من مرحلة للوجود إلى مرحلة الوجود، وطبيعته التكوينية، والمراحل التي مر بها أثناء خلقه من مرحلة التراب، ليتحول هذا التراب إلى طين، ثم إلى صلصال كما جاء في عدة آيات منها قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ (الروم: 20)، وكذلك في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ (المؤمنون: 12)، وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ (الحجر: 26).

وتصور لنا آيات أخرى في سورة (السجدة) اتحاد التراب بعد المراحل التي مر بها بالنفخة الإلهية، حيث يقول الله تعالى ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ (8) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (9) ليصبح بالهيئة التي هو عليها، وهي أحسن تقويم كما وصفها القرآن ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: 4)، وهذا كله جاء في معجم دلالي دقيق يربط بين الأصل المادي للإنسان والرحي، ثم تنقلنا آيات أخرى في النص القرآني من المرحلة الأولى التي بينت أصل وجود هذا المخلوق الذي هو التراب إلى المرحلة ثانية في خلقه، وهي الخلق

تناسلي لاستمرارية وجوده، في عدة آيات، والتي منها ذكر فيها كلمة إنسان كما في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (النحل: 4)، وكذلك في قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (الإنسان: 2)، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (يس: 77)، وعليه تجتمع في هذا الحقل عبارات ذات دلالات إيحائية وإحالية يقوم فيها مفهوم (الإنسان) على معادلة عدم الوجود، ثم الوجود، إلى الاستمرارية من خلال مرحلة الخلق والتكوين التي كانت على مرحلتين، فكل من (التراب، والطين، والصلصال) كمرحلة أولى، هي ومرحلة وجوده، و(النطفة) كمرحلة ثانية في خلقه وهي مرحلة استمراره وتكاثره، ويمكن أن نلخص هذا الحل فيما يلي:



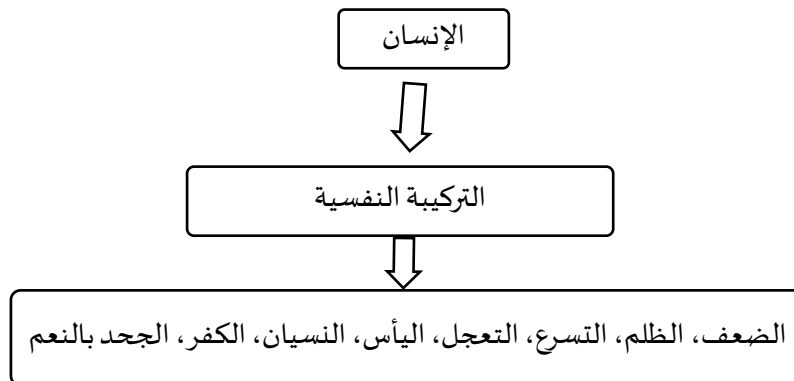
مخطط (رقم 2) يلخص الحقل الدلالي لتكوين الإنسان

2.2- حقل التركيبة النفسية للإنسان

في هذا الحقل جاء مفهوم (الإنسان) مرتبط بكلمات آيات قرآنية تصور لنا تركيبة نفسيته بدقة متناهية فنجدها تتسم بالسلبية وغير مستقرة متأرجحة بين الضعف، والظلم كما تعكسه آيات كثيرة ذكر فيه كلمة (إنسان) منها قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء، الآية: 28)، وقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ (الحج: 66)، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ (فصلت: 28).

(51) ﴿فَإِنَّ زَيْنَاسَ إِذَا تُدْعَىٰ إِلَيْهِ لِحُكْمٍ فَذَىٰ﴾، فهي ذات تركيبة تميل إلى التعجل والتسرع كما جاء في عدة آيات منها على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۚ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ (الإسراء، الآية: 11) ﴿وقوله: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ (الأنبياء، الآية: 37)﴾، وهي كذلك سريعة اليأس: ﴿وَلَيْنَ أَذْقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ مِنكُمْ قَفُورٌ﴾ (هود، الآية: 9) ﴿، وفي آيات أخرى ارتبط مفهوم الإنسان فيها بنفسيته تتسم بقلة الصبر عند الابتلاء بالمحن والمصاعب: ﴿لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَكُونُ قَنُوطٌ﴾ (فصلت، الآية: 49)﴾.

فنفسية الإنسان في صورتها العامة تميل إلى الكفر بالنعم وجحدها، والنسيان، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ﴾ (يونس: الآية: 12) ﴿، ويقول الله في سرعة نسيان هذا المخلوق ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَىٰ هِ (الزمر، الآية: 8)﴾، إذ هناك الكثير من الآيات التي تصف السمات السلبية لنفسية الإنسان كالتنكر للجميل والمعروف، والجدال، والخصومة، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف: 54) ﴿، فمفهوم الإنسان حينما جاء مع هذه الآيات عرض جانبا من الطبيعة التركيبية لنفسية في صورتها السلبية والغير المستقرة، ونلخص ما سبق ذكره في المخطط الآتي:



مخطط (رقم 3) يلخص الحقل الدلالي لتركيبية الإنسان النفسية

2.3- حقل المسؤولية

يعبر مفهوم الإنسان في النص القرآني في هذا الحقل على ذلك المخلوق المسؤول الذي قبل التكليف، وحمل الأمانة فيكون مسؤولاً عن أفعاله، وعن أعماله في الأرض ويحاسب عليها، فنجد في هذا الحقل عبارات رافقت كلمة (إنسان) فتجعل منها هي مركزية الخطاب، مثل (الأمانة، حمل، وصينا، حسنى، معاذير، والديك، أمه أشكر)، إذ يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ (الأحزاب: 72)، ويقول أيضاً في موضع آخر: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ (14) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (القيامة: 15)، فهو المخلوق المسؤول على كوكب الأرض، وكما له حقوق له وجبات عليه أن يقوم بها خلال مسيرة حياته الوجودية من الإحسان إلى الولدين والاعتراف بوحدانية الله كما جاء في هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (العنكبوت: 8) وفي قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان: 14)، كما ارتبط هذا المفهوم في الآيات القرآنية بلومه على انحرافه عن طريقه الصحيح كما في قول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (6) الانفطار. فالخطاب في هذه الآيات يعرض لنا القواعد التي ينبغي أن نسير عليها هذا المخلوق الأدمي وطرق تعامله مع محيطه من منطلق أنه صاحب مهمة مطالب بأدائها وفق إمكاناته وحدود قدرته التي يملكها.

2.4- حقل الجزاء

كما ارتبط مفهوم الإنسان في النص القرآني بعبارات شكلت حقولا دلالية تعبر عن تكوينه المادي الجسدي وصفاته، ومميزاته، وحالاته النفسية، وأخرى تعبر عن مسؤوليته وتكليفه وتعاملاته مع من حوله وتبين حقوقه ووجباته في الأرض، وعبارات شكلت حقولا دلالية تحدد علاقاته بخالقه، نجد عبارات تعطينا فكرة عن نهاية تواجده على الأرض ومغادرة الوجود لينتقل إلى مرحلة أخرى وعالم آخر كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (الانشقاق: 6)، وبهذا شكلت كلمة (إنسان) مفهوما بُني عليه كيفية وجود هذا المخلوق

وطبيعته ومصيره في كثير من الآيات القرآنية منها كذلك: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (13) الإسراء﴾.

وأيضا في سورة القيامة التي تحدد مصير هذا المخلوق الذي كان أكثر المخلوقات يثير الجدل، حيث يقول الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (3) بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نَسْوِيَ بَنَانَهُ (4) بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (5) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (6) فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (7) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (8) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (9) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَإِنِّي الْمَفْقَرُ (10) كَلَّا لَا وَزَرَ (11) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (12) يُنَبِّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (13) بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (14) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ (15) أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (36) القيامة﴾، وتذكره آيات أخرى إذما كان لديه أي شك في مصير الحساب والجزاء بعد مغادرة الأرض واعتقد تلك هي المصير النهائي فتذكره بأن المغادرة بداية لحياة أخرى التي تكون بعد الساب ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (66) أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (مريم: 67)﴾.

خاتمة:

- إن البحث في دلالة الألفاظ ومعانيها هو بحث قديم، لكن كعلم خاص بها فهو جديد، وقد بدأت ملامحه الأولى في القرن التاسع عشر ميلادي، ولهذا العلم عدة آليات يتناول بها قضية الدلالة والمعنى منها نظرية الحقول الدلالية التي تعتبر أهم فروعها.

- فكل كلمة حينما تستعمل كتجسيد فعلي في واقع الفرد تكون بصورتين، صورة صوتية حينما ننطقها، وهي الأسبق، وهي التلفظ، وصورة شكلية حينما نرسمها من خلال الكتابة، وفي كلتا صورتين تحمل الكلمة مقاصد، والتي هي رموز تفكك من طرف السامع، أو المخاطب وهذا كله يكون الدال، والذي يمثل العالم المادي، والمدلول الذي يمثل عالم الغيبيات ومن خلاله نتصل بعالم المادي أو الموجودات، والذي يرشدنا إلى مرجع خارجي أو داخلي حسب السياق الذي يرد فيه الخطاب والعبارات التي نستعملها.

- عرض لنا النص القرآني من خلال مفهوم الإنسان مراحل خلقه مميزاً بين مرحلتين أساسيتين: مرحلة الخلق الأول كوجود، وهي مرحلة التراب وما عرفه من مراحل تكوينية، ومرحلة الخلق التناسلي المستمر للإنسان، وهي مرحلة النطفة وقد وردت هذه الأطوار في عدة آيات قرآنية كما مر معنا.

- إن مفهوم الإنسان في الآيات التي شكلت حقولاً دلالية، وقدمت لنا صورة دقيقة بكل تفاصيلها عن هذا المخلوق سواء في طبيعته التكوينية المادية أو التركيبية المعنوية التي توصف بالتغير وعدم الثبات، وصولاً إلى المسؤولية التي حملها، وصفاته، وتعاملاته في الأرض مع من معه أو حوله، وعلاقته بخالقه إلى نهايته، ومصيره الذي سيلقاه كآخر محطة يصل إليها بعد مغادرته الوجود، هو مفهوم مركزي يدور حوله الخطاب، وموجه إليه انطلاقاً من مكانته في الأرض، وأسباب تواجده فيها.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- (1) - بن فارس، أحمد، (1399هـ/1989م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، الجزء الأول والثاني.
- (2) - بالمر، علم الدلالة إطار جديد، ترجمة: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، 1995م، الإسكندرية.
- (3) - بيير جيرو، علم الدلالة، ترجمة: منذر عياشي، دار طلاس، الطبعة الأولى، دمشق، 1988م.
- (4) - الجرجاني، الشريف، (2004م)، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة-مصر.
- (5) - الفراهيد، خليل بن أحمد، 1424هـ/2002م، كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، بيروت-لبنان.
- (6) - مختار عمر أحمد، علم الدلالة، عالم الكتب، الطبعة الخامسة، القاهرة، 1998م.